المدارات العربية للتحرك السوفياتي الجديد

دشّن الاتحاد السوفياتي، في الشهر الفائت، استراتيجية «الهجوم السلمي» على الولايات المتحدة الاميركية، مستبدلاً بعض الاساليب القديمة بأساليب جديدة في البحث في النزاعات الاقليمية، وفي تطوير سلسلة من علاقاته الثنائية، خصوصاً وان الكلام عن مظاهر الاستقطاب بين العملاقين قد عاد، وتكاثرت مؤشراته، حاملاً في طياته بيانات وهمسات الدولتين العظميين حول مسائل تبدأ بمفاوضات ضبط السلاح المعقدة، وتنتهي بافراز مناطق النفوذ.

احدى اهم هذه المناطق تعرف في وزارتي الخارجية، الاميركية والسوفياتية، بمنطقة الشرق الادنى. والمسؤولون عن هذه المنطقة، في كل من واشنطن وموسكو، متعبون لكثرة ما في هذه المنطقة من تناقضات، اسهمت في تزايد مظاهر الاستقطاب.

مظاهر الاستقطاب، حسب مصادر دبلوماسية مطلعة، انعكست، بشكل واضح، في الهجوم الاعلامي الاميركي على العراق بشأن القضية الكردية، وتزايد التقارب الاميركي مع ايران ما بعد الحرب، وارسال الاتحاد السوفياتي لطائرات ميغ ٢٩ للعراق، وما يعني ذلك من احياء للاتفاقيات الدفاعية بين البلدين، في الوقت الذي اطلقت اسرائيل قمرها الاصطناعي التجريبي للتجسس على الدول العربية، وما يعنيه، ايضاً، من تدشين المشاركة الاسرائيلية المباشرة في مشروع «حرب النجوم». كذلك ادرجت المصادر نفسها في مؤشرات الاستقطاب مساعدة موسكو في توسيع ميناء اللاذقية السوري، لترد عليها واشنطن بزيارة لوزير الدفاع الاميركي، فرانك كارلوتشي، للمنطقة. وأضافت المصادر الى القائمة فشل زيارة مساعد وزير الخارجية الاميركية لشؤون الشرق الاوسط، ريتشارد مورفي، لدمشق لترتيب الوضع اللبناني (**الحوادث**، لندن، ٧/١٠/١٩٨٨).

استناداً الى مؤشرات الاستقطاب المذكورة بين العملاقين في الشرق الاوسط، رأى المراقبون ان من المبكر التنبؤ بالكيفية التي سيتجسّد فيها وفاق العملاقين في المنطقة؛ فالصورة تشير الى عودة الامور الى نقطة البداية في المنافسة بينهما. ولفت مراقبون النظر الى تأكيدات نائب وزير الخارجية السوفياتية، فلاديمير بتروفسكي، في شأن الشرق الاوسط، «انه ليس على [خارطة] الحلول السياسية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي»، ذلك ان «على [خارطة] التسويات السياسية بقعتين بيضاوين: الشرق الاوسط واميركا الوسطى» (**المصدر نفسه**، ٢٨/١٠/١٩٨٨).

غير ان البعض الآخر من المراقبين رأى ان الوفاق بين العملاقين قد تكرّس، بصورة تكاد تكون نهائية. ففي محاضرة القاها، في واشنطن، المسؤول السابق عن شؤون الشرق الاوسط في مجلس الامن القومي الاميركي، وليام كوانت، توقّع ان الدور السوفياتي لن يشكّل أي تهديد، او ينطوي على أي مواجهة مع الولايات المتحدة في المنطقة. ودلّل على صحة افتراضه القائل بأن الدور السوفياتي في المنطقة سوف يكون مختلفاً، بمؤشرات ملموسة طرأت على مواقف موسكو، مؤخراً، من قضايا عديدة، ابرزها الموافقة على الانسحاب من افغانستان، والتعاون بشأن تطبيق اتفاقية وقف اطلاق النار في حرب الخليج، والدور الذي لعبه القادة السوفيات في تغيير الموقف الفلسطيني من مسألة الاعتراف بوجود اسرائيل (**القبس**، الكويت، ٢٤/١٠/١٩٨٨).

عناصر «التفكير الجديد»

ان ما يهمنا رصده، أساساً، ليس انعكاس الاستقطاب والوفاق بين العملاقين على الوضع في المنطقة، فهو امر يصعب الحسم فيه، انما الكشف عن صلب سياستيهما، او بالاصح تفكيرهما